

المصورة ولكن الرزق لا يأتي بالتبني والوجود لا يتفجع به إلا من يحسن استخدام ما فيه من القوى والعناصر.

تحية باريز

٩

سلام عليك مرضعة الحكمة. وربية الرخاء والنعنة. وروح الانقلابات الاجتماعية والسياسية. وحيمة المدنية الأصلية في الأقطار الغربية والشرقية. ومعنة العالم كيف يكون الخلاص من الظالمين. والضرب على أيدي الرؤساء والنبل والمالكين. أنت هذبت طابع البشر حتى غدوا يشعرون بالنطف والذوق وفائدة العنم والعمل. أنت كنت في مقدمة العواصم التي انبعث منها تمجيد العقل بل تأليه فقضيت بالتقدم له على كل شيء في الوجود. وبألفت في إكرام العقول من أبنائك.

سلام عليك يا عشقة الإبداع والاختراع. وسابقة الأقران في مضار الانتفاع بما حوت الرباع والبقاع. استخدمت القوى المادية فأحدثت استخدامها. واشترت القوى العقلية فأبدعت في استثمارها. وأحييت حضارات الأمم السالفة. وأنشأت لك حضارات لا يزال يحسدك عليها أسبق الشعوب إلى الترفي منها تقلبت بك الحال. ويجدون في أوضاعك ما ليس يجدون في أوضاعهم من المرونة والجمال.

سلام عليك يا واضعة حقوق الإنسان وملقحة الأذهان بالتناغي بحب الأوطان والداعية إلى ثل عروش الجبارين والمخربين. أنت لم ترهيك تقاليد أبطال القرون الوسطى. والقدر بل أخذت بالأسباب والمسببات فقتلت من أراد قتلك. ووضعت من لم يهه رفعت. وكنت لناهضين من الناس خير مثال.

سلام عليك يا معهد المعارف والصناعات بما أنشأته من مجامعك العلمية ومدارسك الجامعة والكنية. ومجالسك العامة والخاصة. وجهياتك ونقاباتك لخدمة المدنية والإنسانية. ودور تمثيلك ومعاهد انسك وسماعك. ومتاحفك وحدائقك ومكاتبك ومعارضك. وكل ما أبدعته أفكار أبنائك وأيديهم ودل على مجد طريف وتالد وتاريخ على جبين الدهر خالد.

سلام عليك يا ملقنة الحق معنى الإخاء والحرية والمساواة ليتعاشروا بالمعروف ويقوم نظام اجتماعهم على تبادل المنافع حتى لا يبقى تمييز في الحقوق والواجبات بين المختلفين في الموالد والديانات وقطعت التفاضل إلا بالأعمال الصالحة والأحلام الراجحة.

سلام عليك يا متبعة بأفكار الحكماء ارتضيتها منهم قانوناً تجرّن عنه لسعادتك ولنن حاد بعض أبنائك بعض الشيء عنها فذلك لأن سياسة المنافع والمصالح قد تخالف ناموس الحق والعمل الصالح ولأن نظام بقاء الأنسب لا قنب له والتنازع في جهاد الحياة كثيراً ما يدعو الإنسان إلى ركوب ما تحظره الشرائع الوضعية والمساوية ولا سيما في هذه العصور التي يفصل فيها كل عمل على قلب الماديات وما ذلك إلا ليقر البشر بعجزهم ويعلموا أن الكمال الآن محال ولعنه لا يفوقهم في مستقبل القرون والأجيال.

السلام على هذه العاصمة التي أحضت إلى الشرق فينا مضى فعلته حتى استمد منها النور فإن قننا معاشر الشرقيين ولا سيما سكان الشرق الأقرب أنا نأخذ عن المدينة الغربية فإنما نعي المدينة الفرنسية وبعبارة أصح المدينة التي تبعت أشعتها من باريز ومن طريقها وبلغتها وأسلوها تيسر لنا أن نستطلع طذع سائر مدنات الأرض.

سلام عليك عنيت فما أحسن العلم والعمل إذا اجتمعوا. وما أحلى الإخلاص والشعور بالواجب.

سلام عليك سنتت لغرب سنة التضامن والتكافل. والعطف على البائسين والمساكين. والرفق بالضعفاء والعاجزين. والأخذ بأيدي المقهورين والعائرين. والانتصار لمظلومين من الآدميين مخصوصاً إذا كانوا من طينة أوربية.

سلام عليك أنت العاصمة التي تركت القصور الفخيمة التي عنرت بدماء الأمة مباحة للناس يدخلونها وكانت بورة المظالم والمغارم. ومنيعت الشهوات والأهواء. ولطالما جأرت جوانبها بالدعاء إلى السناء من حيف الكبراء أيام كان يوقع منوكها وهو على سرير نومه توقيعاً واحداً يترك من الغد مئة ألف أسرة في هذه البلاد تبيت جائعة عريانة ليعمر بما يجمع قصرأ له أو يدفعه خبوته صبرة واحدة فلنا أضناك الظنم والعت قتت تجعلين من تلك القصور الفاسقة متاحف عامة ومن دور الظلم والظلمات مجالس عدل وعزم ونور.

سلام عليك خلدت أعمال من خنفوا لك هذه المدينة وأقيمت تماثيلهم ونصبهم موقع الاحترام والإعظام وتوفرت على تكرير أسمائهم على المسامع كل يوم ألوف الألوف من المرات لتجعلهم مهرازاً لمن يأتي بعدهم من الأبناء والأحفاد.

سلام عليك يا بلد ديكارات وكونت وروسو وفولتير وديدرو وسيون ومونتسكيو وهوغو وباسكال ورنان ومئات أضراهم ممن بذلوا حياتهم في حسن خدمتك فلم تنس أفضالهم عليك بعد مماتهم.

أنت إن خجنت من ذكرى الحروب الصليبية وديوان التفتيش الديني ومنحة القديس برتناسوس ومقتل الفيلسوف فيثاغوري وجنون نابليون وغير ذلك من الأعمال البربرية في عصور الظلمة فإن سكانك يفاخرون وحق لهم الفخر بأنهم أحفاد ثورة سنة ١٧٨٩ قاموا من الأعمال المشكورة في عصور النور ما ينسي الماضي إلا ألقه. إن الحسنات يذهبن السيئات.

السلام عليك باريز أجهل عواصم العالم وأغنى البلاد بيدائعها الطبيعية والصناعية وأجمعها لمراق الراحة والرفاهية. لست أنت اليوم عاصمة مئة مليون من البشر أربعون في أرضك وستون في المستعمرات بل أنت بما فيك من المزايا عاصمة معظم الخافقين لأسباب هنالك وصفاتك ونعمتك ونعائتك وتفردك من بين العواصم بسلامة الذوق وسلامة الإبداع ووفرة العناء والباحثين والكتّاب والشاعرين والقصصيين. فكل شيء في باريز مبذول حتى لتعافى النفوس من أقصى ما يتصور الفكر من الفضيلة إلى آخر ما يجول في خاطر أو يحوم حوله خيال.

فباريز ولا وراء جنة أرضية جمع فيها موجدوها - استغفر الله - ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.